استيلاء الأتراك على العالم العربي
ليس احتلالاً !!



الدكتور مختار محمد تركماني

mukhtarfateh@hotmail.com

في حين ينتظر روائي تركي بارز المثولَ أمام القضاء لإدلائه بتصريحات عما اعتبره إبادةً للأرمن في بلاده قبل ٩٠ عاماً ، يقول كاتب مصري إن استيلاء الأتراك علي العالم العربي لم يكن احتلالاً بل كان تدرجاً طبيعياً لما وصفه بحكم الدولة الإسلامية.

وكان أورهان باموك -الذي تسلم في معرض فرانكفورت للكتاب الشهر الماضي جائزة السلام للكتاب الألماني- قال لصحيفة سويسرية في فبراير الماضي " إن مئات الألوف من الأرمن قُتلوا على الأراضي التركية في مجازر عام ١٩١٥ " ؛ واعتبر تصريحه تشهيراً بالهوية التركية ، وسوف ينظر القضاء التركي يوم ١٦ ديسمبر القادم في قضية باموك (٥٣ عاما) . وفي حالة إدانته ، يتوقع أن يحكم عليه بالسجن ما بين ستة أشهر إلى سنة.

ويرى مؤرخون مصريون حسب صحيفة الراية ، أن بلادهم فقدت مكانتها ودورها وتعرضت للتدهور على المستويات كافةً- منذ استولي عليها الأتراك عام ١٥١٧.

لكن محمد عفيفي أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة يقول إن هذا الا ام مبالَغٌ فيه الى حد كبير ،كما أنه محمل بالإيديولوجية والأفكار المسبقة، ومن هنا فهو لا يعتبر العثمانيين محتلين رغم استيلائهم على مصر ومعظم بلدان العالم العربي لأكثر من ثلاثة قرون الى أن آلت هذه البلاد الى الاستعمار البريطاني والفرنسي باعتبارها تركة "الرجل المريض" كما كان يطلق على الدولة العثمانية.

وقال عفيفي إن من يعتبرون مجيء الأتراك الى العالم العربي احتلالاً يتجاهلون السياق التاريخي لمرحلة بداية القرن السادس عشر الميلادي ويهدفون إلى البحث عن جذور تاريخية لشرعنة الفكرة القومية المصرية وهو أمر يمكن تفهمه في إطار القومية وتوظيف التاريخ ولكن من الصعب قبوله كحقيقة تاريخية. وأضاف في كتابه" عرب وعثمانيون.. رؤى مغايرة« الذي أصدرته دار الشروق بالقاهرة في مئة صفحة من القطع الكبير- أن وصف العثمانيين بالمحتلين والغزاة يأتي لتبرير وشرعنة أسرة محمد علي التي حكمت مصر منذ عام ١٨٠٥ الى أن أ ـت ثورة يوليو ١٩٥٢ حكم فاروق آخر ملوكها.

وأشار الى وجود تيار قومي مصري عربي يعتبر وجود العثمانيين في العالم العربي احتلالا عانت منه المنطقة العربية عدة قرون إذ إن: هذا الغزو أخر من عوامل نمو الوعي القومي العربي...

كما أشار إلى وجود تيار آخر وصفه بالإيديولوجي الإسلامي ينفي عن الأتراك صفة الاحتلال بل يرى في مجيئهم الى العالم العربي الإسلامي: فتحا جديدا في تاريخ الإسلام وتوطيدا لآخر خلافة إسلامية الخلافة العثمانية وأن هذا الفتح حمى العرب والمسلمين من السقوط في أيدي أوروبا الصليبية الجديدة... يتحسر هؤلاء على سقوط الخلافة العثمانية التي في رأيهم كان من الممكن أن تحمي فلسطين التي تعد نكبة الإسلام في العصر الحديث من السقوط في أيدي اليهود. ولا يتردد عفيفي في استعمال مصطلح غزو لوصف مجيء العثمانيين. لكنه أوضح أنه من المعروف تاريخيا أن من الألقاب المفضلة عن السلاطين العثمانيين لقب غازي وهذا اللقب بمفهوم ذلك العصر يدل على السلطان ا اهد المحارب القوي. فاللقب بمفهوم عصره كان مقبولا ولكن الإيماءات الحديثة الإيديولوجية حول مسألة الغزو هي التي وصمت هذا اللقب بالعار في إطار وصف الدولة العثمانية بالبربرية والتوحش. هل من الممكن أن نصف الفتح العربي لمصر بأنه غزو وبالتالي الوجود العربي والحكم الإسلامي بأنه احتلال وهي مقولة تجد من يروج لها من أنصار التيار القومي المصري المتطرف. إذا تدرجنا بالفكرة سنجد أن الوجود العثماني لم يكن احتلالا لأنه التدرج الطبيعي لحكم الدولة الإسلامية. وقال انه مهما تكن أوجه النقد الموجهة لفترة الحكم العثماني للعالم العربي فإن ذلك الحكم ساعد علي إيجاد وحدة سياسية واقتصادية من نوع خاص بين الولايات العربية لأول مرة ربما بعد ضعف الدولة العباسية. كما استهان بمقولة ان عصر النهضة المصرية الحديثة بدأ بوصول الرجل الأبيض من أوروبا مشيرا الى أسطورة دور الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١ في تاريخ مصر الحديث... مع أن الحملة لم تستمر إلا ثلاث سنوات فقط وعادت مصر بعدها ولاية عثمانية... محمد علي كان واليا عثمانيا.